عرض كتاب:

حروب الظل: الكفاح السري من أجل الشرق الاوسط

بقلم كريستوفر ديفيدسون

لندن: منشورات عالم واحد، ٢٠١٦، ٦٨٨ صفحة، ٢٥

Shadow Wars: The Secret Struggle for the Middle East by Christopher Davidson. London: One world Publications, 2016.

م.د. عامر حسن ثابت

كلية العلوم السياسية بجامعة النهرين

بعد تأليفه للعديد من البحوث والدراسات الاكاديمية حول مختلف جوانب السياسة والعلاقات الدولية والاقتصاد السياسي في الخليج العربي ، يقدم لنا الدكتور البروفيسور كريستوفر ديفيدسون في هذا الكتاب تحليلًا واسع النطاق في الوقت المناسب للأحداث الأخيرة المرتبطة بالربيع العربي ، تخص منطقة الشرق الاوسط باكملها . وبالنسبة لمعظم المراقبين في المنطقة ، يُنظر إلى الربيع العربي بشكل قاطع على أنه أحد أهم التحولات الجغرافية السياسية في العالم منذ نهاية الحرب الباردة : ومع ذلك تستمر المناقشات حول العوامل التي أدت إلى العنف اللاحق والتطرف والتقليص الاستبدادي و فشل عام من "الربيع". يستكشف ديفيدسون هذه المسألة بجرأة من خلال دراسة كيف أن الثورة المضادة كانت مدفوعة إلى حد كبير بالتدخلات الخارجية ؟– والتي كانت علنية وسرية على حد سواء ، وعدوانية ، ونظمت بشكل شبه حصري من قبل القوى الغربية. تقدم **Shadow Wars** تحليلاً شاملاً ، ولا تغفل الجهات الفاعلة في الشرق الأوسط ، مع الأنظمة السابقة والحالية ، والحركات المتطرفة والشخصيات الفردية الرئيسية التي تحظى باهتمام كبير. بينما تركز معظم مناقشات الربيع العربي على عدد صغير من الجهات الفاعلة والقضايا والعمليات السياسية التي تلتها ، في هذا الكتاب قدم الكاتب التحليل الأكثر شمولاً.

سيقدر القارئ استخدام الكتاب لمجموعة فريدة من الأدلة التجريبية. على وجه الخصوص ، يتيح لنا استخدام ديفيدسون لمئات الوثائق السرية التي رفعت عنها السرية رؤى جديدة للتدخل الغربي في الشرق الأوسط وإلى أي مدى تتجاهل القوى الغربية الرئيسية الفاعلة الأهداف السياسية والاقتصادية للشرق أوسطيين العاديين في سعيهم للحصول على موارد المنطقة. يتم تعزيز تحليل هذه الوثائق الحساسة من خلال مجموعة من المقابلات مع مسؤولين سابقين رئيسيين من الدول الغربية والشرق أوسطية والصحفيين والناشطين ، مما يوفر للقارئ مجموعة كبيرة من الحقائق التي نادراً ما تُرى في عمل واحد. علاوةً على ذلك يتعامل كتاب **Shadow Wars** مع التحدي المتمثل في التحقيق في أسباب فشل الربيع العربي من خلال تبني نهج يرى أن تاريخ المشاركة الغربية في المنطقة جزء من عملية دائمة تلقي بظلالها الطويلة على مستقبل المنطقة .

الفصول التي يتضمنها الكتاب كلها مهمة للقراءة. يقدم الكاتب الإطار المركزي للتحليل في الفصل الأول ، والذي يستكشف الثورات المضادة باعتبارها سمات ثابتة مزعجة للسياسات السابقة ، ويتأثر إلى حد كبير بالقوى الخارجية (إن لم تحددها). ترتكز أطروحة الكتاب الرئيسية على تقدير النمط التاريخي للتدخل الغربي في الشرق الأوسط وتركيز الجهات الفاعلة الخارجية الرئيسية مثل بريطانيا وروسيا وفرنسا والولايات المتحدة على الموارد الطبيعية في المنطقة. تعتمد الفصول السابقة على مجموعة كبيرة من الأدلة لتسليط الضوء على الطرق التي أدركت بها الدول الغربية تهديدات لمصالحها الإقليمية ، سواء عن طريق القومية العربية أو الاشتراكية أو الإيديولوجيات الراديكالية الأصلية ، وما أصبح استجابة غربية قياسية لهذه التهديدات: التدخل والثورة المضادة. يوضح الباحث أنه في أعقاب ظهور الهيمنة الغربية على المنطقة، كان الاستقرار والاتساق في السياسة في الشرق الأوسط محور السياسة الغربية. تقوم حروب الظل (عنوان الكتاب الحالي) بعد ذلك يتم تقييم الطرق التي كان الغرب متورطا بها في تشويه صورة الإسلام وتخريبها في ذهن الناس (الذي وصفه ديفيدسون بحق بأنه دين يروج للسلام بشكل أساسي) من قبل أتباع الإيديولوجيات المتطرفة. هنا ، يتم تحليل استخدام الجماعات الإسلامية كعوامل فاعلة مضادة للقومية العربية والشيوعية السوفيتية خلال فترة الحرب الباردة.

في الفصول الوسطى يقدم الكتاب صورة واضحة لكيفية تهديد المصالح الطويلة الأمد للدول الغربية باحتمالات التغيير على نطاق المنطقة في الشرق الأوسط بعد عام ٢٠١١. كما يحدد الطرق التي تم بها تحجيم دور الربيع العربي من قبل الدول الغربية (خاصة الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة) والزخم الذي اتخذته هذه اللحظة من أيدي جموع المتظاهرين وحركات المجتمع المدني. يقول ديفيدسون إن المسار العنيف للربيع العربي في ليبيا وسوريا كان إلى حد كبير نتيجة استخدام القوى الإقليمية والخارجية الفرصة لإزالة (أو على الأقل تقويض) حكومتين أثبتتا أنهما يتعارضان مع المصالح الغربية منذ فترة طويلة. يتم تقديم القضية بشكل مقنع إلى حد ما أن هاتين الدولتين ، في الواقع ، تشكل "ربيعًا عربيًا مزيفًا" مع حركات اجتماعية جماهيرية شرعية وأصلية يتم التلاعب بها

وتحويلها. لم يحدث نفس الشيء في تونس أو مصر لأن هذه الدول كانت حليفة طويلة الأمد للغرب. أخيرًا ، تستكشف الفصول الأخيرة ظهور الدولة الإسلامية(داعش) ، ودور الجهات الفاعلة الخارجية في نهوضها (بما في ذلك الدول الغربية) ، واستخدامها كجزء من الثورة المضادة الأضخم الموجهة للغرب في المنطقة. هنا ، يوصف تنظيم الدولة الإسلامية(داعش) باعتباره رصيدا استراتيجيا ، ومحوريا في "صنع الشر" الذي يستلزم التدخل الغربي المستمر (مقدم بمصطلحات مثل "دعم" الجهات الفاعلة في الشرق الأوسط في "مكافحة الإرهاب").

القيد الوحيد على هذا العمل الرائد هو أن مؤلف الكتاب ، مثله مثل معظم الباحثين الآخرين الذين يهتمون بظاهرة الربيع العربي ، لا يبحث في الإمكانية (الخفية إلى حد كبير) للشرق الأوسطيين العاديين في مقاومة و/أو الاستجابة لتدخل الدولة الإقليمية والخارجية. الجهات الفاعلة على مستوى في مجتمعاتهم. ومع ذلك، فإن هذا لا يقلل من اهمية هذا الكتاب، وحروب الظل الشاملة هي أكثر من مقنعة في استنتاجاتها النهائية: الدول الغربية ، وشركاتها التأسيسية وعملائها الإقليميون مهددة من قبل الدول العربية التي تحدد نفسها بنفسها. لقد أحبطوا الربيع العربي ، وتمكّنوا حتى من استخدام عدم اليقين (المتأصل في أي لحظة ثورية) في عام ٢٠١١ فصاعداً ذريعة لتعميق تدخلهم في المشهد السياسي والاقتصادي والأمني في المنطقة، وضرب أعدائهم. إن وصف ديفيدسون للدولة الإسلامية بأنها "هدية تحافظ على العطاء" هي بالتالي فكرة واضحة. يجب أن يكون هذا الكتاب نقطة مرجعية أساسية لأي شخص يحاول فهم ما حدث في الربيع العربي، ولمن يطمحون إلى إيجاد طرق لبناء مستقبل أكثر إشراقًا للمنطقة.